

التبيان في تفسير القرآن

(55) على ذلك؟ فقال اﷻ عزوجل: (إن في خلق السماوات والارض) الآية إلى آخرها. ووجه الدلالة من الآية (أن في خلق السماوات والارض) يدل على أن لها خالق، لا يشبهها ولا تشبهه، لانه لا يقدر على خلق الاجسام إلا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم، ولا عرض، إذ جميع ذلك محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث، لاستحالة التسلسل. وأما (الليل والنهار)، فيدلان على عالم مديرن جهة أنه فعل محكم، متقن، واقع على نظام واحد، وترتيب واحد، لا يدخل شيئا من ذلك تفاوت، ولا اختلاف. وأما (الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) فتدل على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه، ليس من جنس البشر، ولا من قبيل الاجسام، لان الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك. وأما الماء الذي ينزل من السماء، فيدل على منعم به يقدر على التصريف فيما يشاء من الامور، لا يعجزه شئ. وأما (إحياء الارض بعد موتها)، فيدل على الانعام بما يحتاج اليه العباد، وإحيائها: إخراج النبات منها، وأنواع الثمار (وبث فيها من كل دابة) دال على ان لها صانعا مخالفا لها منعما بأنواع النعم. (وتصريف الرياح) يدل على الاقتدار على ما لايتأتى من العباد ولو حرصوا كل الحرص، واجتهدوا كل الاجتهاد، لانه إذا ذهبت جنوبا مثلا، فاجتمع جميع الخلق على أن يقلبوها شمالا أو صبا أو دبورا، لما قدروا على ذلك، ولا تمكنوا على رده من الجهة التي يجئ منها. وأما (السحاب المسخر) فيدل على أنه يمسكه القديم، والذي لاشبه له ولا نظير، لانه لا يقدر على تسكين الاجسام الثقيل بغير علاقة ولا دعامة إلا اﷻ تعالى، وكذلك لا يقدر على تسكين الارض كذلك إلا القادر لنفسه، فهي تدل على صانع غير مصنوع قديم لا يشبهه شئ، قادر لا يعجزه شئ، عالم لا يخفى عليه شئ، حي لا يموت واحد ليس كمثل شي، سميع بصير (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات